

- ٢٧ -

غفت الديار محلها فمقامها بمضى ، تأبّد غولها فرجامها ..

وليس الأستاذ العقاد وأضرابه من مثل مطران وشكري والمازني بقاصرين عن تنوq الشعر القديم ، وروايته وملابسات هذه الرواية . وهما السببان اللذان عزا إليهما الدكتور السبب في دعوة هؤلاء إلى وحدة القصيدة وحدة عضوية ، كما أنهم لبسوا من خصوم الشعر القديم في حين هم من أحلم الناس به ، وأقدرهم على تنوqه ، وليس الأستاذ العقاد هو الذي يعد من خصوم الشعر القديم ، وكان واسع الاطلاع على دقائقه محافظا على قيامه وتقهمه ، بوصفه تراثاً قائماً صحيحاً ، ولسكن الذي ليس فيه أدنى ريب أن الشعر الأوربي قد مر بمراحل في تجديده وتطوره ، وأن ميلاد الشعر الغنائي في مفهومه الحديث ، قد اصطحب ، بل قام ، على الدعوة القائلة بالوحدة العضوية للقصيدة الغنائية ، ولم يكن ذلك من دعاة التجديد في الغرب جحوداً لترأهم ، أو خصومة له بل كان واجبا يتمون به ترأهم ، وينمون ويضيفون إليه ما انتهى إليه من جهد الأقدمين . وهذا مفهوم التجديد البعيد من الخصومة المفرضة في كل عصر .

وسيدكر تاريخ الشعر في نهضتنا الحديثة للأستاذ العقاد وأضرابه ، قدرتهم على فهم طبيعة التجديد ، وأنه ليس اندفاعا وراء الغرب ، لتقويض التراث كما فعل سواهم ، بل إنه صادر عن إيمان صدر لديهم عن ثقافة واسعة عميقة قصر مواهم عنها .

ولنما عزونا إلى الأستاذ العقاد فكرة الوحدة العضوية في هذا المجال ، وفي مواضع أخرى مما كتبنا ، لأنه كان - دون أضرابه من الدعاة لهذه الوحدة - أعمقهم فهما لها ، وإدراكاً لدقائقها ، واقتناعاً بآثارها الفنية الغزيرة وقد أشرنا إلى أنه بدأ في الدعوة إليها من عام ١٩٠٨ ، ثم دأب على الدعوة واكتشف أبعادها ودافع عنها ، واستوعب مفهومها الصحيح منذ بدأ بالكتابة فيها .